مفهوم العلة النحوية ودوافعها في الدرس النحوي

عماد سعدي الطيب

معيد بقسم اللغة العربية -كلية الآداب جامعة أسوان

المبحث الأول
مفهوم العلة في اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم العلة في اللغة :

إذا تأملنا في معاجم العربية نجد أن العلة من الناحية اللغوية لها معانٍ متعددة، وفقاً لما تشير إليه مادة (علل)، ونوجز هذه المعاني فيما يلي: –

١. المرض: فقد جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد " العلة: المرض، وصاحبها معتل... والعليل: المريض"(١).

وجاء أيضاً في لسان العرب العلة بمعني المرض " عَلَّ يَعِلُّ واعتل أي مرض، فهو عليل، وأعلهُ الله، ولا أعلك الله أي لا أصابك بعلة"(٢).

٢. التلهي والتشاغل: ورد في الصحاح للجوهري أن العلة " حدث يشغل صاحبه عن وجهه، كأن تلك العلة صارت شغلاً ثانياً منعه شغله الأول...، وعلله بالشيء، أي لهاه به، كما يعلل الصبي بشيء من الطعام يتجزأ به عن اللبن، يقال: فلان يعلل نفسه بتعِلّة. وتعلل به، أي تلهي به وتجزأ"(٣).

٣. العائق: جاء في القاموس المحيط " واعتله اعتاقه عن أمر أو تجني عليه"(٤)، وهذا المعني قريب من المعني السابق.

٤. العذر: ورد هذا المعني في لسان العرب لابن منظور مستدلاً بحديث عاصم بن ثابت " ما علّتي وأنا جَلْدٌ نابلٌ؟ أي ما عذري في ترك الجهاد ومعي أهبة القتال،

---

(١) كتاب العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠م ، ٨٨/١، مادة (ع.ل.ل)

(٢) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت، مج ١١، ص ٧١، مادة (ع.ل.ل)

(٣) الصحاح، للجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ –١٩٩٩م، الطبعة الأولي، ١٤٤٦/٤، مادة (ع.ل.ل)

(٤) القاموس المحيط، للفيروز أبادي، دار الجيل، بيروت، د.ت، ٢١/٤، مادة(ع.ل.ل)

فوضع العلة موضع العذر. وفي المثل: لا تَعْدَمُ خرقاءُ علةً، يقال هذا لكل معتلٍ ومعتذر وهو يقدر"[١].

٥. التتابع والتكرار: ذكر ابن منظور في لسان العرب " العَلُّ والعلَلَ: الشربة الثانية، وقيل: الشرب بعد الشرب تباعاً...، وعلَّت الإبل تَعِلُّ وتَعُلُّ إذا شربت الشربة الثانية...، والتعليل: سقيٌ بعد سقيٍ وجنيُ الثمرة مرة بعد أخري. وعلَّ الضارب المضروب إذا تابع عليه الضرب؛ ومنه حديث عطاء أو النخعي في رجل ضرب بالعصا رجلاً فقتله قال: إذا علَّه ضرباً ففيه القَوَد أي إذا تابع عليه الضرب، من عَلَلِ الشرب"[٢]. واعتقد أن هذا المعني مأخوذ من العَلَل أي الشرب وليس من العلة.

وفي أساس البلاغة: " علل: سقوا إبلهم عَلَلاً بعد نهل. وعاللت الناقة: حلبتها صباحاً ومساءً وظهراً. ومن المستعار: علَّه ضرباً إذا تابع عليه الضرب. وسئل تابعي عمن ضرب رجلاً فقتله فقال: إذا علَّه ضرباً ففيه القَوَد"[٣].

٦. الطروء والتجدد: قال الجرجاني: " العلّة لغةً: عبارة عن معنى يحلّ بالمحَلّ فيتغير به حال المحل بلا اختيار، ومنه يسمي المرض علة، لأن بحلوله يتغير حال الشخص من القوّة إلى الضعف"[٤].

٧. الحجة والدليل: جاء في المصباح المنير " وَاعْتَلّ إذَا تَمَسَّكَ بِحُجَّةٍ ذَكَرَ مَعْنَاهُ الْفَارَابِيُّ، وَأَعَلَّهُ جَعَلَهُ ذَا عِلّةٍ وَمِنْهُ إعْلَالَاتُ الفقهاء واعتلالاتهم"[٥]. أي أدلتهم في مسائل التشريع.

---

(1)لسان العرب، مج ١١، ص٤٧١

(2) لسان العرب، مج ١١، ص٤٦٧–٤٦٨

(3)أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: فريد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٨م، ص ٥٦٤

(4) كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د.ت، ص ٢٠١

(5) المصباح المنير، للفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثانية، ص٢٢٦

٨. السبب: فيقال هذا علة لهذا، أي سبب له، وقد صرّح ابن منظور أن العلة ترد بمعني السبب مستدلاً بمقولة عائشة – رضي الله عنها – حيث تقول: " كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَضْرِبُ رِجْلِي بِعِلَّةِ الرَّاحِلَةِ أَيْ بِسَبَبِهَا، يُظْهِرُ أَنَّهُيضرب البعير برجله، وإنما يضرب رجلي"(١).

ثانياً: مفهوم العلة في الاصطلاح:

تعد العلة سمة من سمات الفكر الإنساني تتضح إليتها أكثر مع نضج الإنسان، وتتحدد مع توسع تفاعلها لحياتي وعلاقاته بعناصر الكون ومظاهره ، وينزع فيها العقل منزع التدقيق في دائرة الخضم البنائي للمعرفة والإبداع والجدل المحتدم بين حضارات الشعوب وثقافاتها؛ ومن ثمّ أصبحت العلة " ركناً هاماً من أركان مناهج البحث في العلوم التي وُجدت في البيئة الإسلامية إبان ازدهارها، سواء في علم الكلام، أو في علم أصول الفقه، أو في الدرس اللغوي للعربية"(٢).

ومن هذا المنطلق تتعدد التعريفات الاصطلاحية للعلة، حيث تتقاسم هذا المصطلح عدة علوم إنسانية، ما بينها شرعية ولغوية، وكلامية، وذلك ما نود معرفته فيما يلي: –

١. العلة عند علماء أصول الفقه:

اختلفت طبقات الأصوليين في تعريف العلة تبعاً لمرجعياتهم المذهبية إلي أقوال(٣): –

(الأول) أنها المعَّرفة للحكم بأن جُعلت علامة علي الحكم في الفرع واختاره صاحب المنهاج وغيره(١).

---

(1) لسان العرب، مج ١١، ص ٤٧١

(2)التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، دراسة أبستومولوجية، د. جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٤، ص٧

(3)انظر: تسهيل الوصول إلي علم الوصول، محمد بن عبد الرحمن عيد المحلاوي، مطبعة مصطفي الباب الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٤١هـ، ص ١٨٩، وانظر أيضا: تعليل الأحكام، د. محمد مصطفي شلبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ–١٩٨١م، ص١١٢ –١٢٠

(الثاني) أنها الموجبة للحكم بذاتها لا بجعل جاعل، وهذا قول المعتزلة المبني على التحسين والتقبيح العقليين.

(الثالث) أنها الموجبة للحكم على معني أن الشارع جعلها موجبة بذاتها، وبه قال الغزإلي.

(الرابع) أنها الباعث على التشريع بمعني أنه لابد أن يكون الوصف مشتملاً على مصلحة صالحة لأن تكون مقصودة للشارع من شرع الحكم من جلب نفع إلى العباد أو دفع ضرر عنهم، وهذا مذهب الآمدي وابن الحاجب.

وقد ناقش الدكتور عبد الحكيم السعدي هذه التعريفات، ورأي أن أقرب التعريفات للعلة عند الأصوليين هو التعريف الذي يشرح العلة بما تتحقق عنده المصلحة المقصودة للشارع من شرع الحكم؛ لذا فقد خرج بتعريف جامع للتعريفات السابقة، فقال: "العلة: هي ما ظهر وانضبط مما جعله الشارع موجباً للحكم ومعرفاً له[٢].

ويعد البحث في العلة وأحكامها من أهم الموضوعات في أصول الفقه، بل يكاد يكون أهمها على الإطلاق إذا ما لاحظنا أن القياس لا يتحقق إلا بها، وبواسطتها تنتقل الأحكام الشرعية وتتعدي من الأصول إلى الفروع، وكيفية استنباطها واستخراجها حاصل بالاجتهاد، " فما من مجتهد أو فقيه إلا ويكون التعمق في هذا البحث من أهم متطلبات أمره في الاجتهاد واستنباط الأحكام" [٣].

٢. العلة عند علماء الكلام:

أما عند هؤلاء فهي في مطلق معناها" ما يحتاج إليه الشيء، إما في ماهيته كالمادة والصورة، أو في وجوده كالغاية والفاعل والموضوع، وذلك الشيء المحتاج

---

(1)صاحب المنهاج هو البيضاوي المتوفي سنة ٦٨٥هـ، وذهب الي هذا الرأي أيضا الفخر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦هـ في محصوله، وجمال الدين الأسنوي المتوفي سنة ٧٢٢هـ في شرحه علي المنهاج. انظر: تعليل الأحكام، ص ١١٢ -١٢٢

(2)مباحث العلة عند الأصوليين، د. عبد الحكيم السعدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٠م، الطبعة الثانية، ص٧٠

(3) المرجع السابق، ص٧١٦

يسمي معلولاً"[١]، فإن كان جميع ما يحتاج إليه الشيء فهو العلة التامة، وإن كان بعض ما يحتاج إليه الشيء، فهو العلة الناقصة[٢]، ويدخل في العلة التامة الشرائط وزوال الموانع، والعلة الناقصة أربعة أقسام: صورية، ومادية، وفاعلية، وغائية، وذلك أن العلة الناقصة إما أن تكون جزءً من المعلول أو خارجة عنه إذ يمتنع أن تكون نفس المعلول.

والأول: -أي كونها جزءً من المعلول-إما أن يكون المعلول به بالفعل وهو الصورة كصورة السرير بالنسبة إليه، أو يكون المعلول به بالقوة وهي المادة كالخشب بالنسبة إلى السرير.

والثاني: -أي كونها خارجة عن المعلول-إما أن تكون مؤثرة في وجوده بأن يكون وجود المعلول منها وهو الفاعل كالنجار بالنسبة إلى السرير، أو تكون مؤثرة في مؤثرية الفاعل أي الفاعل لأجله صار فاعلاً وهو الداعي والغاية[٣].

٣. العلة عند علماء النحو:

تنوّعت تعبيرات النحويين القدماء والمحدثين في تعريف العلة، فقد عرّفها الرمّاني (ت٣٨٤ه) بأنها " تغيير المعلول عما كان عليه"[٤]، أي أن هذا التغيير خروج

(١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الطبعة الأولي، مج ٣، ص ٣١٩، وانظر أيضاً: كتاب التعريفات، ص٢٠١

(٢) انظر: المواقف، عضد الدين الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت، ص٨٥، وانظر أيضا: كشاف اصطلاحات الفنون، مج ٣، ص ٣٢٠

(٣) انظر: شرح مطالع الأنظار على متن طوالع الانوار، للأصفهاني، المطبعة الخيرية، ١٣٢٣هـ، الطبعة الأولي، ص٦٨، وانظر أيضا: كشاف اصطلاحات الفنون، مج ٣، ص ٣٢٠-٣٢١، وانظر أيضا: كتاب التعريفات، ص٢٠٢

(٤)الحدود في النحو، للرماني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان(الأردن)، ١٩٨٤م، الطبعة الأولي، ص٦٧

عن الأصل، إذن " للعلة ارتباط بالأصل، لأن ما جاء على أصله لا يسأل عن علته"(١)، ولأن" من عدل عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل؛ لعدوله عن الأصل"(٢).

ويذهب الدكتور مازن المبارك إلي أن العلة في النحو" هي الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم. أو بعبارة أخري هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة"(٣)، وهذا الزعم ينبني على إطار نظري، وعلى أصول عامة وأُسس علمية لا خبط عشواء.

ونلاحظ أن الدكتور مازن المبارك يعمم الزعم على النحاة كلهم، في حين أنّا نجد من النُحاة من يري أن العرب كانوا يتكلمون سليقة من غير ملاحظة، لذلك يذهب الباحث إلي أنه لم يصل شيء يدل على أن العرب عرفت علل كلامها كلها، وما قاله النحويون عن العرب:" من أنها أرادت كذا لكذا، وفعلت كذا لكذا"(٤)، إنما هو ادعاء علي العرب، وفيه تصحيح لتلك الدعوي.

ويري الدكتور محمود سليمان ياقوت أن العلة النحوية " هي الركن الثالث من أركان القياس النحوي الذي يتألف من الأصل والفرع والعلة والحكم، وهي عبارة عن الوظيفة النحوية التي تجمع بين الأصل (المقيس عليه) والفرع (المقيس) والتي يتم على أساسها إعطاء حكم الأصل للفرع. ومن أمثلة ذلك أن الفعل المضارع أُعرب؛

---

(1) الأصول، دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ص ١٦١

(2) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين عند البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٨٠هـ-١٩٦٥م، الطبعة الرابعة، ٣٠٠/١

(3) النحو العربي-العلة النحوية: نشأتها وتطورها، د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت،١٩٧٤م-١٣٩٣هـ، الطبعة الثالثة، ص٩٠

(4) الخصائص، صنعةأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، الطبعة الرابعة، ٢٣٨/١

لأنه يشابه اسم الفاعل في عدد الحروف ونسق الحركات والسكون وجواز الإحلال فيما بينهما، قال تعالي: " وإنّ رَبَكَ لَيحكُمُ بينهم"(١)؛ أي لحاكم(٢).

وذكر الدكتور عبد القادر المهيري عند حديثه عن (كتاب علل النحو لابن الوراق) " أن العلة في معناها الأول هي السبب الذي يمكّن من جمع معطيات لغوية متفرقة والمقارنة بينها لاستنباط حكم يعمها أو قاعدة تجمع شملها فبواسطتها تتسنى ممارسة القياس والقياس طريق إليالتعميم"(٣).

ويذهب الدكتور محمد خان إلي أن" العلة هي السبب الذي يوجب الحكم للفظ ما، فيندرج ضمن شبيهه لتحصيل القاعدة"(٤).

وقد عرّفها الدكتور محمد خير الحلواني بأنها" تفسير الظواهر اللغوية، والنفوذ إلي ما وراءها، وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه، وكثيراً ما يتجاوز الأمر الحقائق اللغوية، ويصل إلى المحاكمة الذهنية الصِرْف"(5).

ويبدو أن العلة النحوية نوع من الاستدلال الذهني يتمثل في البحث عن الأسباب التي تكمن وراء الظواهر اللغوية والأحكام النحوية.

وقد عرّف الدكتور حسن خميس الملخ التعليل في النحو بأنه تفسير إقتراني يبين علة الإعراب أو البناء على الإطلاق وعلى الخصوص وفق أصوله العامة. فهو تفسير، لأن التفسير هو الكشف عن المراد من اللفظ نحوياً سواء كان ذلك ظاهراً في المراد، أو غير ظاهر، فمن الظاهر تعليل رفع كلمة (زيد) في جملة: (جاء زيد) بأنها

---

(1) سورة النحل، آية ١٢٤

(2)أصول النحو العربي، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص٦٢٥-٦٢٦

(3)كتاب علل النحو لابن الوراق، د. عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، العدد ١٢٠، ص١١، نقلا عن: مصطلحات علم أصول النحو، دراسة وكشاف معجمي، د. أشرف ماهر النواجي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١، ص٣٠

(4) أصول النحو العربي، د. محمد خان،مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، ٢٠١٢م، ص١٠٠

(5) أصول النحو العربي، د. محمد خير الحلواني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١١، الطبعة الثانية، ص١٠٨

فاعل، ومن غير الظاهر تعليل عدم جزم(أن) المخففة الناصبة للمضارع، مع أن الأصل النظري لعملها الجزم، بأنها شابهت (أن) الناصبة للاسم، فنُصِبت(١).

ويذهب في موضع آخر إلى أن " تقييد التفسير بأنه اقتراني يشير إلى أن لعملية التعليل ركنين:العلة، والمعلول، فالعلة دليل يقترن بالمعلول لتفسيره نحوياً، ويسميها بعض النحاة سبباً، أو وجهاً. والمعلول مدلول عليه بالعلة المفسرة لحكمه المستعمل، كجر الاسم بحرف الجر، أو لحكمه النظري المهمل، كوجوب جر إنّ واخواتها للمبتدأ"(٢).

والجدير بالذكر أن " العلة في النحو غير العلة في نظريته، ذلك أنها في النحو تطبيقية تؤلف بين القواعد في الإعراب والبناء وتقدير الحركات وتفسير التشابه الإعرابي مع اختلاف الوظيفة النحوية، ومراعاة دلالة الحال ومُواضعات الخطاب الكلامي الناجز، لكنها في نظرية النحو وسيلة منهجية في تفسير انسجام النظام النحوي تُحقق الترابط بين التصور النظري للغة والاستعمال الفعلي لها"(٣).

ويمكن في النهاية أن نستنبط تعريفاً موجزاً للعلة النحوية، فهي عبارة عن مقاييس وقواعد مستنبطة من استقراء كلام العرب بقصد فهم النظام النحوي وتناسق عناصره من خلال القرائن اللفظية والمعنوية والمقامية الموجودة في الكلام، كما أنها بحث عن الأسباب التي تحكم الظواهر اللغوية المختلفة حتى يتسنى لنا فهم هذه الظواهر والإلحاق بها والقياس عليها وفق أسس مضبوطة نابعة من كلام العرب.

والذي يعنينا في هذا المقام أمران، وهما: –

الأول: يلاحظ أن للجذر (ع ل ل) معانٍ مختلفة، إلا أننا لم نجد من بين هذه المعاني جميعها، ما يتفق والمعني المقصود من العلة النحوية، سوي معني واحد، وهو السبب، والعلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي واضحة جلية لمن يمعن النظر فيهما، فالعلة النحوية سبب في مجئ الأحكام وثبوتها على صورة مخصوصة.

---

(١)نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان(الأردن)، ٢٠٠٠، الطبعة الأولي، ص٢٩–٣٠

(٢)المرجع السابق، ص٣٠

(3)المرجع السابق، ص١٦

الثاني: أن العلة النحوية من حيث التقعيد والتنظير لا تخرج عن المقصود بالتعليل عند أهل المناظرة (علماء الكلام والفقه)، ولا غرابة في ذلك؛ فقد تأثّر النحاة بمناهج علماء الكلام والفقه، وهذا ما سنفصله فيما بعد.

ثالثاً: الفرق بين العلة والسبب:

جاء في لسان العرب أن السبب هو " كل شيء يتوصل به إلى غيره"(١)، وفي القاموس المحيط هو " الحبل وما يتوصل به إلى غيره"(٢)، وقد عرّفه ابن السمعاني(ت٦٨٤ه) بأنه " مقدمة يعقبها مقصود لا يوجد إلا بتقديمها فلا أثر لها فيه ولا في تحصيله وهذا كالحبل سبب للوصول إلى الماء ثم الوصول بقوة النازح لا بالحبل وكذلك الطريق سبب للوصول إلى المكان الذي يقصده ثم الوصول لا يكون بالطريق بل بقوة الماشي"(٣).

يتحدث أبو هلال العسكري عن الفرق بين العلّة والسبب فيقول: " أن من العلة ما يتأخر عن المعلول، كالربح وهو علّة التجارة يتأخر ويوجد بعدها، والدليل على أنه علّة لها أنك تقول إذ قيل لك: لِمَ تتجر؟ قلت: للربح.

وقد أجمع أهل العربية أنّ قول القائل لِمَ؟ مطالبة بالعلة لا بالسبب، فإن قيل: لما أنكرت أن الربح علّة لحسن التجارة، وسبب له أيضاً، قلنا: أول ما في ذلك أنه يوجب أن كل تجارة فيها ربحٌ حسنة، لأنه قد حصل فيها علّة الحسن، كما أن كل ما حصل فيه ربح فهو تجارة، والسبب لا يتأخر عن مسببه على وجه من الوجوه ألا تري أن الرمي الذي هو سبب لذهاب السهم لا يجوز أن يكون بعد ذهاب السهم"(٤).

---

(1)لسان العرب، مج ١، ص٤٥٨، مادة (س ب ب)

(2)القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، الطبعة الثامنة، ٩٦/١

(3)قواطع الأدلة في الأصول، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٩م، الطبعة الأولي، مج ٢، ص ٢٧٢-٢٧٣

(1) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د.ت، ص٧٣

فاللغويون قد وضعوا مقياساً للتفريق بين العلة والسبب يعتمد على السؤال بـــ (لِمَ)، ويكون مطالبة بالعلة لا بالسبب.

أما علماء الكلام فلا يفرقون بين العلة والسبب، إذ يطلقون مصطلحا السبب والعلة على معني واحد، وهو ما يحتاج إليه شيء آخر(١).

بينما يفرّق بينهما أهل الشرع وأصحاب المعاني، فأهل الشرع يرون أنهما " يفترقان من وجهين، أحدهما: أن السبب ما يحصل الشيء عنده لا به، والعلة ما يحصل به، والثاني: أن المعلول يتأثر عن علته بلا واسطة بينهما ولا شرط يتوقف الحكم علي وجوده، والسبب إنما يُفضي إلى الحكم بواسطة أو بوسائط ولذلك يتراخى الحكم عنه حتى تُوجد الشرائط أو تنتفي الموانع، وأما العلة فلا يتراخى الحكم عنها إذ لا شرط لها بل وُجدت أوجبت معلولها بالاتفاق، وما يُفضي إلى شيء إن كان إفضاؤه داعياً سُمي علّة، وإلا سمي سبباً محضاً. وقد يراد بالسبب العلّة، كما يقال: النكاح سبب الحل، والطلاق سبب لوجوب العدّة شرعاً كما ذهب إليه بعض الفقهاء"(٢).

أما أصحاب علم المعاني فيفرّقون بينهما بأن العلة تطلق على ما يوجِد شيئاً، والسبب على ما يبعث الفاعل على الفعل(٣).

أما النحويون فنجد بعضهم يجعل السبب بمعني العلة، ومنهم ابن يعيش حيث يقول في تعريف المفعول لأجله إنه " علّة وسبب لوقوع الفعل"(٤)، ولم يذكر أكثر النحاة باء التعليل استغناء عنها بباء السببية؛ لأن التعليل والسبب عندهم سيّان؛ من هنا كان تمثيلهم بما مثل به ابن مالك للتعليل(٥).

---

(2)الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـــ-١٩٩٨م، ٥٠٥/١

(3) المرجع السابق، ٥٠٤/١

(4)المرجع السابق، ٥٠٥/١

(5) شرح المفصل، لابن يعيش،صححه وعلق عليه: حواشي نفيسة، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ت)، مج١،ج٢،ص٣٦٦

(1) الجنيّ الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـــ-١٩٩٢م، الطبعة الأولي، ص٣٩-٤٠

كما أن هناك بعض النحاة يفرق بينهما، حيث وضعوا مقياساً للتفريق يقوم علي اللزوم وعدمه، فالعلة من شأنها اللزوم والإيجاب عند وجودها، بخلاف السبب؛ لأنه قد يمكن الرجوع إلي الأصل مع وجوده، يبدو ذلك جلياً عند ابن جني في قوله في باب (ذكر الفرق بين العلة الموجبة، وبين العلة المجوّزة): " اعلم أن أكثر العلل عندنا مبناها علي الإيجاب بها، كنصب الفضلة، أو ما شابه في اللفظ الفضلة، ورفع المبتدأ؛ والخبر،والفاعل، وجر المضاف إليه، وغير ذلك. فعِلَلُ هذه الداعية إليها موجِبة لها، غير مقتصر بها على تجويزها؛ وعلى هذا مقاد كلام العرب.

وضرب آخر يسمَّي علة، وإنما هو في الحقيقة سبب يجوَّز ولا يُوجِب. من ذلك الأسباب الستة الداعية إلى الإمالة، هي علة الجواز، لا علة الوجوب؛ ألا تري أنه ليس في الدنيا أمر يُوجِب الإمالة لابد منها، وأن كل مُمَالٍ لعلّةٍ من تلك الأسباب الستة لك أن تترك إمالته مع وجودها فيه. فهذه إذاً علّة الجواز لا علّة الوجوب"(١).

وقد عقّب السيوطي علي كلام ابن جني فقال: " فظهر بهذا الفرق بين العلة والسبب، وأنّ ما كان موجباً يُسمي علّة، وما كان مجُوَّزاً يسمي سبباً"(٢).

ويري الدكتور تمام حسان أن الفرق بين العلة والسبب فرق في " التأثير "، فالحكم يدور مع العلّة وجوداً وعدماً، ولكنه لا يدور كذلك مع السبب(٣).

ومن الجدير بالذكر أنه يمكن أن يقتصر على مصطلح التعليل دون المصطلحات المرادفة له؛ وذلك لأنه يمكن أن يشملها جميعاً إذا ما صرفنا النظر عن تلك المحاولات التي انصبّت على التمييز بين العلة والسبب، أو تلك التي حاولت التوفيق بينهما(٤).

---

(2) الخصائص، ١٦٥/١

(3) الاقتراح في علم أصول النحو، لجلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه: د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٦م، ص٢٧٢

(4)الأصول، ص١٦٥

(3)المكونات التركيبية والدلالية لظاهرة التعليل في العربية، د. طه محمد الجندي، مجلة كلية دار العلوم، العدد٢٧، ص١٤

المبحث الثاني
دوافع العلّة في الدرس النحوي

تعد العلة سمة من سمات البحث العلمي، فالغاية الأساسية التي يتطلع إليها كل علم هي البحث في أسباب الظواهر ومحاولته تفسير القواعد والنظريات، وقد كان علم النحو من أهم العلوم التياحتلت فيه العلة مكانة بارزة، وقد كانت هناك بعض الدوافع التي دعت إلى وجودها وجعلتها العصب الرئيسي للنحو، وهي: –

طبيعة العقل البشري:

إن من طبيعة الإنسان الراسخة حب البحث والاطلاع، والكشف عن أسرار هذا الكون، والسيطرة على الظواهر المحيطة به، "ومن طبيعة العقل أن يتتبع الجزيئات ويجمع ما تشابه منها ليطلق عليها حكماً عاماً فيصل بالظاهرة إلى القاعدة العلمية"(١).

"ولما كان من طبيعة الإنسان منذ طفولته أن يسأل عن سبب لكل ما يراه، سبب وجوده وسبب نشوء ما يحيط به من مظاهر الحياة، ويبحث عن علل لها تفسيرها وتربط بعضها بالبعض الآخر وتبين أحوالها وفائدتها وتأثيرها، وجدناه يطبق ذلك على كل ما يمر به وعلى مدي سنيّ حياته وتطور إدراكه وعلى اختلاف العلوم التي يتعلمها. يعلل الظواهر الطبيعية في الأحياء والجوامد، يعلل الظواهر العقائدية وما يتبعها من أحكام ونتائج، ويعلل ما يبدو في اللغة التي يستعملها أداة للتفاهم. محاولاً أن يجد علة لكل صورة من صور التعبير"(٢).

ولا شك أن ظهور الإسلام قد أحدث نقْلة منهجية في المستوي الفكري من الكون والحياة، "فنظرات العربي في الجاهلية كانت في الطبيعة وفي الإنسان لا تربطها رابطة، وتجارب مروية من غير امتحان واعتماد على درس، يعوزها التنظيم، وتفتقر إلى الدقة. أما هو في عصر صدر الإسلام إلى قبيل الدولة العباسية فإن الفكر العربي

---

(١)النحو العربي، العلة النحوية: نشأتها وتطورها، ص ٥١

(٢) دراسات في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت، الطبعة الأولي، ص١٥٥

صار ينحو في المسائل المطروقة منحي يتسم بنظر أدق مواكباً سنن التطور متأثراً بما قد جدَّ بسبب نزول القرآن الكريم"(١).

ولا شك أن الإسلام قد أفاد العرب ثقافياً ووسع لهم مداركهم وجعل نظرتهم في تعليل الأشياء تختلف عما كانت عليه بمستوي أو بآخر، حيث حثّ القرآنإلى النظرة العميقة في مختلف المجالات، عملاً بقوله: "أَولَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ"(٢)، وقوله عز وجَلّ: " أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {١٧} وَإِلى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ"(٣)، وغيرها من الآيات التي تحث العقل علي النظر في الكون، ولهذا وجد الإنسان العربي نفسه مدفوعاً إلى النظر والعلم والتدبر والمعرفة.

وقد شمل هذا الأسلوب جانباً مهماً من جوانب حياة الإنسان ألا وهو اللغة، " فإنه من البديهي أن يكون مما تساءل عنه العربي أساليب لغته من حيث تفاوت درجات بلاغتها ومعاني مفرداتها من حيث ارتباطها بدلائل الإعراب والصيغ. ولقد أوتي العربي من رهافة الحس ونقاء الفكر ما يؤهله لأن يتذوق مظاهر القوة والجمال في لغته وأن يعلل لهذا التذوق"(٤).

ومن هذا المنطق فإنه " من الطبيعي أن ينصرف دراس اللغة العربية إلى إيجاد علة لكل ما يراه من أحكام. فللمرفوع سبب، وللمنصوب علة، وللمجرور غاية، وللمجزوم هدف. ولكل ما حُذف أو قُدّم أو أُخّر علة لابد من معرفتها حتى نكون مدركين للغة وواقعها. لذلك ليس بدعاً أن نري نشوء العلة النحوية مصاحباً لنشوء البحث النحوي ووضع أحكامه وقواعده، وليس مستغرباً أن ينسب التعليل إلى علماء العربية الأوائل"(٥).

---

(١) دراسات في آليات التحليل وأصول اللغة والنحو، د. السعيد شنوقه، عالم الكتب، القاهرة ،١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، الطبعة الأولي، ص٢٠

(٢) سورة الأعراف، آية١٨٥

(٣) سورة الطارق، آية٥

(٤)أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، د. بكري عبد الكريم، دار الكتاب الحديث، الجزائر،١٩٩٩م، الطبعة الأولي، ص٤٣

(٥) دراسات في كتاب سيبويه، ص١٥٥

ومهما يكن من أمر فإن البحث عن العلة قديم قِدم البشرية، وُجد يوم وجد العقل البشري، فلم تكن الدراسة اللغوية والنحوية بدعاً في التعليل الذي كان النحاة يلجئون إليه أثناء وضع القواعد اللغوية العامة؛ ليُظهروا ما يتوصلون إليه من نتائج لغوية في صورة معقولة متفقة مع منطق اللغة المدروسة وملائمة لنفسية المتكلمين بها وبيئتهم وزمانهم، وهذا كله من أجْل إظهار مدي خضوع تلك الأحكام للظواهر اللغوية.

المحافظة علىالقرآن الكريم من الزلل واللحن:

يري كثير من الباحثين أن الدراسة النحوية قد نشأت لخدمة الدين الإسلامي، و"الغيْرة علىالقرآنالكريم، وصونه من التحريف علىألسنة الأعاجم"(١)،"والحرص الشديد علىأداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماًإلىأبعد حدود السلامة والفصاحة"(٢).

"فبعد ظهور الدين الإسلامي ودخول الأجناس الأخرى فيه بأعداد كبيرة واختلاط العرب بالعجم، ومانتج عن ذلك من فساد السلائق السليمة والتواء الفطر القويمة؛ هرِع علماء اللغةللذياد عن لغة القرآن وصيانتها مما قد يتسرب إليها من لحن أو يتحيّفها من وهن "(٣)، ولذلك اتجهواإلى فكرة كان لها عظيم الأثر في الحفاظ علىالقرآن الكريم ولغته المقدسة شامخين حتى الآن وهي فكرة (التعليل).

وفي ضوء هذا السياق يقول الدكتور علي أبو المكارم : " من الحقائق المسلّمة لدينا أن العلل النحوية قد نشأت استجابة لظروف وبواعث عربية إسلامية، دون أن تتأثر بمؤثر خارجي غير عربي"(٤)، ويقصد الدكتور علي أبو المكارم بعدم تأثر العلل النحوية بالمؤثرات الخارجية في المراحل الأولي للتعليل، لأن هدف النحاة في تلك المرحلة كان تسويغ الموجود، ولم يحدث التجاوز في الأخذ بالعلوم الفلسفية والكلامية

---

(١) فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م، الطبعة الثالثة، ص١١٢

(٢) المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثامنة، ص١١

(٣) ابن الأنباري وجهوده في النحو، جميل ابراهيم علوش، (رسالة دكتوراه)، جامعة القديس يوسف، بيروت ،١٩٧٧م، ص٢٦٦

(٤) تقويم الفكر النحوي، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ،٢٠٠٥م، ص١٠٥

إلا فيما بعد، " ولكن هذا الهدف الواضح ما لبث أن تغير تحت تأثير الأفكار المنطقية والميتافيزيقية اليونانية، فصار التعليل محور البحث النحوي في القياس بمفهومه الجديد المستمد من المنطق "(١).

ومن الجدير بالذكر أن التعليل النحوي لم يكن قائماًإلا بعد تفشي اللحن وشيوعه علىألسنة الناس،وبخاصة عندما تجاوز هذا اللحن الأجانب الداخلين في الإسلامإلى العرب الخُلّص عند قراءة القرآن، فكان التعليل"بمثابة رد الفعل المباشر لتسرب اللحن إلى اللغة والقرآن علي وجه الخصوص، ولن يتأتى ذلك إلا بوضع ضوابط عملية تُحفظ عليه نصوصه، وتُسهّل على من لم يكن متمكناً من العربية قراءته"(٢).

" وتسند معظم الروايات التاريخية إلى أن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ه) أنه أول من بدأ يفكر في دفع خطر اللحن عن القرآن واللغة"(٣)، وأن الخطوة الأولي التي خطاها في هذا السبيل هي (نقط المصحف)، والسبب الذي دفع به إلى ذلك أنه مرّ برجل يقرأ القرآن فقال: " أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ"(٤)، بكسر اللام من (رسوله) بالعطف علي (المشركين) أي أنه غيّر المعني؛ لأن (رسوله) مرفوعة، فوصلَ هذا الخبر إلى سيدنا علي – رضي الله عنه – فأمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع قواعد للعربية تحفظها من اللحن والفساد، "فوضع أبوالأسود الدؤلي قواعد النحو العربي وأخذ الدارسون عن أبي الأسود أصول قواعد العربية فكانت الأساس الأول الذي أُقيم عليه صرح الدراسات اللغوية والأدبية"(٥)، ويعد هذا الصنيع عملاً جَليلاً لأنه أحاط نصوص القرآن بسياج منيع من التعليل يمنع اللحن فيه.

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٦

(٢)اللغة والنحو، د. حسن عون، مطبعة رويال، الإسكندرية ،١٩٥٢م، الطبعة الأولي، ص٢١١

(٣) العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦م، ص١٦

(٤) سورة التوبة، آية٢٣

(٥)شواهد الشعر في النحو العربي من كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحوين البصريين والكوفيين، شكفته نسرين بنت قاضي قمر الدين، (دكتوراه الجامعة الإسلامية العالمية)، إسلام أباد ،١٤٢١هـ – ٢٠٠٨م، ص٢٨

هناك اتجاه آخر يذهب إلىأن اللحن وحده لايفسر نشأة النحو العربي ونشأة التعليل فيه وأن الأقرب هو أن النحو نشأ لفهم القرآنالكريم، وفي هذا السياق يشير الدكتور عبده الراجحيإلىأنه" لا يكاد الحديث عن نشأة النحو العربي يخلو من الحديث عن الأسباب التي كانت وراء هذه النشأة، وتكاد كلها تتركز في قضية "اللحن" الذي رآه القدماء خطراًعلى العربية وعلىالقرآن الكريم. وهو رأي له ما يسنده من روايات التاريخ علىما فيها من تناقض واضطراب. غير أن "اللحن" وحده لا يفسر نشأة النحو وبخاصة علي أول صورة وصل بها إلىناوأعني بها كتاب سيبويه. والأقرب عندي أن النحو – شأن العلوم الإسلامية الأخرى– نشأ "لفهم" القرآن"(١).

ويفرّق الدكتور عبده الراجحي بين محاربة اللحن وإرادة الفهم، حيث يقول رحمه الله: "والبون شاسع بين محاربة "اللحن" وإرادة "الفهم"،لأن اللحن ما كانيفضيبهذا "النحو" إلى ما أفضي إليه في هذه المرحلة الباكرة من حياته، بل لعله كان حقيقياًأن يقتصر علي وضع ضوابط الصحة والخطأ في كلام العرب.أما "الفهم" فإنه يقصد إلى البحث عن كل ما يفيد في استنطاق النص وفي معرفة ما يؤديه التركيب القرآني علي وجه الخصوص باعتبارهأعلي ما في العربية من بيان"(٢).

ويذهب الباحث إلى أن العلاقة وطيدة بين محاربة اللحن وفهم النص القرآني، وأنه لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر في تفسير نشأة النحو، حيث إن محاربة اللحن تؤدي إلى ضبط النص وتقويمه، وهذا يعد أول خطوة من خطوات فهم النص فهماً صحيحاً إذ كيف يمكن فهم النص وتحليله واستنباط ما فيه من أحكام، وهو في الأصل معوَج غير مضبوط.

وإلى جانب هذا الدافع ظهر دافع آخر مرتبط به وله دور كبير في عِظَم شأن العلة في الدرس النحوي، وهو التعدد في القراءات القرآنية " فمن الملاحظ أن جميع نحاة البصرة – الذين خلفوا أبا الأسود الدؤلي – يُسلكون في القراء، فتلميذاه عيسى بن

---

(١)النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٠-١١

(٢) المرجع السابق، ص١١

عمر، وأبو عمرو بن العلاء، وتلميذا عيسى: الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، كل هؤلاء من القُرّاء. ويُكثر سيبويه في كتابه من التعرض للقراءات، وكأن ما كان بينهما من خلافات في الإعراب، هو الذي أضرم الرغبة في نفوس قُرّاء البصرة، لكي يضعوا النحو وأصوله، وقواعده، حتى يتبين القارئ مواقع الكلِم في آي الذكر الحكيم من الإعراب المضبوط الدقيق "(١).

وهذا لكلام حسن، فقد أهتم النحاة بأداء النص القرآني اهتماماً كبيراً، وكان ذلك له بالغ الأثر في ظهور التعليل، والدليل على ذلك أن كبري المؤلفات القديمة قد حفلت بالاحتجاج للقراءات مثل كتاب " إعراب القراءات السبع وعللها " لابن خالويه(٢)، وكتاب " الحُجّة للقرّاء السبعة"لأبي علىالفارسي(٣)، و" كتاب السبعة في القراءات " لابن مجاهد(٤)وغيرها.

الرغبة في تعليم اللغة العربية:

لمّا سطع نور الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً، واختلط العرب بغيرهم من الأجناس والأقوام غير العربية؛أصبحت الحاجة ملحة –بالنسبة لغير العرب –إلى تعلم لغة الدين الجديد " لفهم كتاب الله وسنة رسوله، ليثبت في نفوسهم ذلك الدين الحنيف ويعرفوا مبادئه وتعاليمه"(٥)، يضاف إلىذلك،حاجة الأعاجم الملحة " لمن يرسم لهاأوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلاًمستقيماً، وتُتقن النطق بأساليبها نطقاً سليماً"(٦).

---

(١)المدارس النحوية، ص ١٨

(٢)وقد حققه الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، الطبعة الأولي

(٣) وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفي الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، الطبعة الأولي

(٤) وقد حققه الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثالثة

(٥)علم اللغة في الدراسات العربية والغربية قديما حديثا، د. عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م الطبعة الأولي، ص٩٧

(٦) المدارس النحوية، ص١٢

وقد كان من الطبيعي أن يسأل طلاب العلم – غير العرب – عن الأسباب الكامنة وراء الظواهر الإعرابية، وغيرها من الظواهر اللغوية، ولا ريب فيأن أسئلة الطلاب كانت تثير في أذهان النحاة تساؤلات، كانوا يبحثون لها بدورهم عن إجابات مرضية كفيلة بإشباع فضول الطلاب(١)، "يتخذون منها وسيلة لشرح حكم نحوي،أوتقريره،أو إقناع المتعلمين به، ولا سيّما أن المعيار النحوي يستمد شيئاً من قوته الإقناعية من العلل التي تسانده "(٢).

وبذلك نأت الدراسة النحوية عن الوصفية ونحت نحو المعيارية، " فلما انتهى عصر الاستشهاد في القرن الثاني الهجري تحول النحو من طابعه العلمي الذى يقوم على البحث ورصد النتائج إلى الطابع التعليمي الذى يسعى إلى جعل الأُمة الإسلامية أُمة متجانسة من الناحية اللغوية، وبقدر ما يحسن الطابع الوصفيفي النحو العلمي يتحتم الطابع المعياري في النحو التعليمي، فليس من المعقول أن يقوم المعلم بالاستقراء واستخلاص النتائج وإنشاء القواعد أمام التلاميذ، وإنما المطلوب منه أن يقول لهم: هذه هي القاعدة (أو المعيار)، وعليكم أن تطبقوا، فالتعليم أساسه الطريقة المعيارية "(٣)، وظهر أثر كل ذلك فيأساليب المؤلفين الذين يقولون ما يقوله المعلم : " أعلم يا فتى "(٤).

فالنحاة " لم يتبعوا المنهج الوصفي Descriptive method–أي وصف اللغةوالظواهر النحوية كما هيفي الواقع دون إدخال شيء عليها أو حذف شيءمنها، بل هم اتبعوا في درسهم وتعليمهم المنهج المعياري Prescriptive methodذلك المنهج الذي لا يكتفي بوصف الظواهر النحوية، بل يتجاوز ذلك إلى بيان الصحيح

---

(١)تجديد النحو العربي، د. عفيف دمشقية، معهد الإنماء العربي، فرع لبنان، بيروت، ١٩٨١، ص١٦٠

(٢)نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص ٥١

(٣)اللغة العربية والحداثة، د. تمام حسان، مجلة فصول، القاهرة ، ١٩٨٤م، المجلد الرابع، العدد الثالث، ص١٣١ – ١٣٢ وأنظر أيضاً: الأصول، ص ٢٨ – ١٦٨

(٤) الأصول، دراسة أبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص ١٦٨

الذي يجب أن يقال تبعاً للقواعد العامة، وبيان نواحي النقص والخطأ في غير الصحيح حتى يسلم منها ويطابق الأصول المرعية "(١).

ويرى الدكتور أحمد سليمان ياقوتأن اختيار النحاة للمنهج المعياري لم يكن خطأً ولا بعداً عن الصواب،وذلك لأن الدراسة النحوية قد ظهرت ثم نمت وترعرعت لحفظ اللغة وقواعدها من العبث والتوسع الخارج عن نطاق الفصحاء من العرب، ثم إن هذه الدراسات قد قامت بسبب اللحن، لا سيّما اللحن في قراءة القرآن، كتاب الله المنزّل على نبيه عليه الصلاة والسلام، والذي كان المسلمون يقدسونه وما زالوا، فكان الغرض من هذه الدراسات تفادي اللحن عن القرآن الكريم وإبعاده. فأنى للنحاة أن يضبطوا القواعد ويضعوا الأصول ويضيّقوا دائرة الضبط والتقعيد حتى يُبعدوا اللحن لو أنهم اتبعوا المنهج الوصفي ولم يتبعوا المنهج المعياري؟ أليس هذا المنهج الأخير هو المناسب لهذا الغرض والمناسب أيضاً لتعليم من يريد أن يتعلم؟(٢)

ونخلص من كلام الدكتور ياقوت أن هناك هدفين رئيسيين دعا إلى الدراسة المعيارية عند النحاة القدماء، وهما: –

الأول: هدف تأصيلي: يرمي إلى صون اللغة من اللحن الذي تطرق إليها بعد دخول عدد كبير من أبناء البلاد المفتوحة الإسلام، حيث اختلط العرب بهؤلاء العجم، ومن ثمّ تطرق اللحن إليهم، وفي هذا تهديد للغة القرآن التي يجب حمايتها، وهو واجب استمد قدسيته من قدسية القرآن ذاته الذي نزل بلسان عربي مبين.

الثاني: هدف تعليمي: يرمي إلى تعليم هؤلاء العجم الذين دخلوا في الإسلام لغة دينهم، وما كان ذلك ليتم عن طريق دراسة أساسها الوصف دون اعتبار للصواب والخطأ فيما يُقال.

إن هذه المعيارية واضحة جداً – كما يعلم ذلك المشتغلون بالنحو –في كتب النحو المطوّلة التي تأخّر تأليفها نوعاً عن فترة البداية فيه، حيث تُذكر القواعد التياستقر أمرها، وتليها الأمثلة والنصوص، ثم الاستدراكات على القاعدة بجزئياتها

---

(١)ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان ياقوت، دارة المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ٢٠٠٣، ص ٩٠

(٢)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

المخالفة،وأيضاً بما يخالفها من نصوص يدور حولها الجدل بالتخريج أو الشك فيها أو تخطئتها بما يطول به نص النحو ويتعقد(١).

الكشف عن حكمة الله في الصيغ وأوضاع الكلام:

" بعد أن استقرأ النحاة الأوائل وجوه اللغة العربية، وجدوا أنها تسير وفق نظام محكم مطرد –إلاماندر –في الإعراب ،والبناء، ومراعات العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام،فآمن عامتهم أن ذلك لم يكن إلا لحكمة،أرادها واضع اللغة، وسر مُغيَّب سَيّر وفقه الأوضاع المباني "(٢)، " ألا ترى إلىإطراد رفع الفاعل، ونصب المفعول، والجر بحروف الجر، والنصب بحروفه ....، فهل يحسن بذي لُبٍأن يعتقد أن هذا كله اتفاق وقع، وتوارد اتجه!"(٣).

وقد أوضح كمال الدين على بن مسعود الفرغاني أنه" إذا استقريت أصول هذه الصناعة علمت أنها في غاية الوثاقة، وإذا تأملت عللها عرفت أنها غير مدخولة، ولا مُتسمَّحٌ فيها. وأما ما ذهب إليهغفلة العَوام من أن علل النحو تكون واهية ومُتَمَحَّلة، واستدلالهم على ذلك بأنها أبداً تكون هي تابعة للوجود، لا الوجود تابعاً لها، فبِمَعْزِلٍ عن الحق. وذلك أن هذه الأوضاع والصيغ، وإن كنَّا نحن نستعملها، فليس ذلك على سبيل الابتداء والابتداع؛ بل على وجه الاقتداء والاتباع، ولابُدّ فيها من التوقيف، فنحن إذا صادفنا الصيغ المستعملة، والأوضاع بحال من الأحوال، وعلمنا كلَّها أو بعضها من وَضْع واضع حكيم –جَلّ وتعالى – تطلبنا بها وجه الحكمة لتلك الحال من بين أخواتها "(٤).

---

(١) تأثير الدرس اللغوي الحديث في النحو العربي، د. محمد عيد، بحث منشور بالكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، سنة١٩٩٣، ص ٣٤٩

(٢) نظرية التعليل في النحو العربي، ص ٩٦ – ٩٧

(٣)الخصائص، ٢٣٩/١

(٤)الاقتراح في علم أصول النحو ، ٢٤٩ – ٢٥١

" وربما ترتبط هذه الفكرة بفكرة المفوّضين في اللغة الذين يرون أنها بصيغها ونظمها من وضع الله –جَلّ وعلا – وأنه قد حبا بها العرب، لأن نفوسهم قابلة لها، مُحِسّة لقوة الصنعة فيها، وعلى النحاة أن يبحثوا عن حكمة الله فيها، فكان التعليل !!"(١).

وقد انتقد الدكتور مازن المبارك ما ذهب إليه الفرغاني بالتوقيف في اللغة، حيث يقول: " أفإن كان صاحب المستوفي يقول بالتوقيف في اللغة أفيقول بذلك في كل ما يتصل باللغة وأوضاعها من نحو وعلل؟ ثم إن كانت اللغة هيالتوقيفية، وهيالتي نستعملها على وجه الاقتداء والاتباع، أفلسنا نحن الذين تطلَّبنا وجه الحكمة المخصصة لحال من أحوال تلك اللغة – كما يقول –؟ وما يمنع، ما دمنا نحن الباحثين عن العلة، والذاكرين لها، أن نأتي منها بالمدخول والمتسمَّح فيه وما ليس في غاية الوثاقة ؟؟.

والحق أن قول صاحب المستوفي في العلة قول عام أولاً، ولا دليل معه ثانياً. وحاشا أن ننسب للعبقريين الذين تجلّت عبقريتهم في لغتهم كثيراً مما اختلق النحاة من العلل، فكيف بالنسبة إلى الواضع الحكيم جَلّ وعلا. وأن الدفاع عن علل النحو لا يكون بتغيير أصلها، أو إيجاد نسب جديد لها، أو تقريبها من ظلال الواضع الحكيم، فهي من صنعنا نحن البشر، وهي بنت البحث والنظر، وبنت الاستنباط العقلي "(٢).

والحق أنّ " مسألة الواضع مسألة أحسن النحاة التعامل معها، عندما تجنّب معظمهم التعمق في بحثها "(٣)؛ لأنها كما قال فندريس: " ليست من مسائل علم اللغة "(٤)؛ وليس إلى قطع الرأي فيها سبيل فيما يغلب على الظن، والبحث فيها كثير الونى قليل الجنى؛ لهذا كان النحاة غالباً يرسلون الخلاف فيها، ويمضون إلى مبتغاهم في التقعيد، والتحليل والتعليل(٥).

---

(١)أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأى ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠ هـ –١٩٨٩م، الطبعة الرابعة، ص ١٢٤

(٢) النحو العربي، العلة النحوية: نشأتها وتطورها، ص ٨٧ ، ٨٨

(٣) نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص ٩٧

(٤) اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلى، ومحمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٩

(٥) نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص ٩٧

الكشف عن الحكمة فيما قالته العرب:

لقد سيطر على فريق من نحاتنا القدماء " نوع من الإحساس العميق باحترام اللغة، يكاد يقرب من درجة القداسة "(١)؛ " لأنها أعدت من الأزل فلكاً دائراً للنيّرين الأرضيين العظيمين: كتاب الله، وسنة رسول اللهصلي الله عليه وسلم، ومن ثم كانت فيها قوة عجيبة عن الاستهواء، كأنها أخذة من السحر، لا يملك معها البليغ أن يأخذ أويدع "(٢).

يقول ابن جنى: " إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة، والإرهاف، والرقّة، ما يملك عليّ جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غَلْوِة(٣)السحر "(٤)، " والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فيأهلها، وعمقها هو عمق الروح، ودليل الحسن على ميل الأُمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل "(٥).

ولقد وقر في نفوس النحاة أن العرب الفصحاء كانوا يدركون علل ما يقولون، وأنهم كانوا يعللون بعض ما يقولون، وإذا كانت العرب تعرف العلل فلابد أن تكون أمة حكيمة، ومن ثم يصبح الكشف عن العلة نوعاً من بيان حكمة العرب(٦)، وقد ترسخ هذا التصور منذ بواكير الفكر النحوي، نراه في أوضح صورة في نص الخليل بن أحمد الذي أورده الزجاجي في كتابه الإيضاح : " إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها،

---

(١)أصول التفكير النحوي، د. على أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، الطبعة الأولى، ص١٤٩

(٢)تحت راية القرآن، المعركة بين القديم والجديد، لمصطفى صادق الرافعي، راجعة: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م، ص ٢٦

(٣)الغَلْوِة: وهي رمْية سهم أبعد ما يقدرُ عليه، ينظر المصباح المنير، ص ٤٥٢، ومقصد ابن جنى أنها بلغت – أو كادت – غاية السحر

(٤)الخصائص ، ١/ ٤٨

(٥) وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي، ضبطه: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة ، ١٣٦٠هـ –١٩٤١م، الطبعة الأولى ، ٣٦/٣

(٦)الأصول " دراسة إبستيمولوجية "، ص ١٦١ – ١٦٢

واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست. وإن تكن هناك علة له في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحّت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال : إنما فِعْل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، و لسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذى دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك. فان سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأتِ بها "(١).

فقد لاحظ الخليل أن لكلام العرب نظاماً يسير على قواعد محكمة، وهذا النظام الذى أشبهه بالبناء المحكم ينم عن أن وراءه حكمة وقصداً، ويدعو عقل الناظر في تجلياته إلي البحث عن ذلك النظام الخفيّ من حيث حقيقته،الجلي من حيث تجلياته ومظاهره، ومن ثمّ راح يتلمس العلل لذلك الكلام متوخياً وجه الحكمة والصواب، " غير أن النحاة – كما يبدو من كلام الخليل – كانوا يرون أن ما قام في نفوس العرب شيء وأن ما جاءوا به شئآخر، فالذي قام في نفوس العرب سليقة وملكة، والذى جاء به النحاة تجريد وصنعة ومحاولة وصف لهذه السليقة والملكة "(٢).

وبصرف النظر عن هذا الاختلاف بين ما هو في نفوس الناطقين وعقولهم، ومايصل إليه النحاة، فإن التصور الذي لاخلاف عليه،والذي ينطق به نص الخليل السابق هو أن اللغة خاضعة لنظام مُحكم فريد، يستحث عقول النحاة للكشف عن أسراره.

وقد سار سيبويه علي نهج شيخه الخليل وتابعه في القول بأن كل ظاهرة من ظواهر العربية وُضعت لحكمة، وذلك حيث يقول: " وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً"(٣).

---

(١) الإيضاح في علل النحو، للزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت ١٩٧٣م – ١٣٩٣ هـ، الطبعة الثانية، ص ٦٦

(٢) الأصول، دراسة إبستيمولوجية، ص ١٦١

(١) الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت) ،٣٢/١

وقد جعل ابن جني هذه العبارة أصلاً من أصول الكشف عن وجوه الحكمة فيما قالته العرب، حيث يقول معلقاً على هذه العبارة: " وهذا أصل يدعو إلى البحث عن علل ما استُكرِهوا عليه؛ نعم ويأخذ بيدك إلى ما وراء ذلك، فتستضئ به وتستمد التنبه على الأسباب المطلوبات منه"(١).

ويري ابن جني أن العرب كانوا يحسون بقوة طباعهم بالعلل التي يعلل بها النحاة ما يستنبطونه من أحكام كلامهم، وأنهم يريدون ذلك ويقصدونه، وكذلك جاءت أوضاع كلامهم على ما تقتضيه الحكمة، وعقد لذلك باباً سماه" باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها "(٢)، يقول فيه: " اعلم أن هذا موضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة، وللنفس به مُسكة وعِصْمة؛ لأن فيه تصحيح ما ندّعيه علي العرب. من أنها أرادت كذا لكذا، وفعلت كذا لكذا. وهو أحزم لها، وأجمل بها، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها، من أن تكون تكلّفت ما تكلّفته: من استمرارها على وتيرة واحدة، وتقرَّيها منهجاً واحداً، تراعيه وتلاحظه، وتتحمل لذلك مشاقَّه وكُلَفه، وتعتذر من تقصير إن جرى وقتاً منها في شيء منه"(٣).

ويقول ابن جني في موضع آخر" والذي يدل علىأنهم قد أحسُّوا ما أحسسنا، وأرادوا (وقصدوا) ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان: أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنا،إلا أنه مع أدنىتأمل في حكم الحاضر معنا. فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب أو وجوهها، وتُضطرّ إلى معرفته من أغراضها وقُصودها: من استخفافها شيئاً أو استثقاله وتقبُّله أو إنكاره، والأُنس به أوالاستِيحاش منه، والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما في النفوس "(٤).

ويري ابن جني أن العرب" قد يلاحظون بالمنَّة والطباع، ما لا نلاحظه نحن عن طول المباحثة والسماع"(٥)، ويسوق في خصائصه كثيراً من الوقائع التي تؤكد ذلك، من

---

(٢) الخصائص،١/٥٤–٥٥

(٣) المصدر السابق، ١/٢٣٨–٢٥٢

(٤) المصدر السابق،١/٢٣٨–٢٣٩

(١) المصدر السابق،١/٢٤٦

(٢) المصدر السابق،٣/٢٧٩

ذلك علي سبيل المثال قوله: " وسألت يوما أبا عبد الله بن العسّاف العقيلي الجُوثِي، التميمي – تميم جُوثة – فقلت له: كيف تقول: ضربت أخوك ؟ فقال أقول: ضربت أخاك. فأدرته على الرفع، فأبي، وقال: لا أقول: أخوك أبداً. قلت: فكيف تقول ضربني أخوك، فرفع. فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول: أخوك أبداً؟ فقال: أيش هذا! اختلفت جهتا الكلام "(١)، ثم يُعقّب ابن جني على ذلك بقوله:" فهل هذا إلا أدل شيء علي تأملهم مواقع الكلام،وإعطائهم إياه في كل موضع حقه،وحصته من الإعراب، عن ميزة،وعلى بصيرة "(٢).

ويذهب في موضع آخر:" وسألته(٣) يوماً فقلت له: كيف تجمع (دُكَّاناً)؟فقال:دكاكين، قلت: فسرحاناً؟ قال: سراحين، قلت: فقُرطاناً؟ قال:قراطين، قلت فعثمان؟ قال: عثمانون. فقلتله: هلَّا قلت أيضاًعثامين؟ قال: أيش عثامين! أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته، والله لا أقولها أبداً "(٤).

وتري الدكتورة نهاد يوسف فليحأن ما أجاب به الأعرابي وغيره ابن جني ليس في حقيقة الأمر من التعليل في شيء وهما مما يستطيع أن يقوم به أيّ عامي: فلو سألنا اليوم عامياً: كيف تقول: حَمّام وحَمّام وحَمّام؟ لقال:حمامات، فتقول نجّار ونجّار ونجّار، فيقول:نجّارة، فإذا سألناه: هلَّا قلت:نجّارات،لأجاب شنو نجّارات" هذا مو مثل هذا" فإذا ألححنا عليه في إبداء الحُجّة لقال لنا في ضيق لا يخفي: " هذا كلامي"(٥)،وهذا في حقيقته شكل من أشكال الكفاية اللغوية عند جميع البشر.

ونود أن نشير إلى أن ابن جني قد اتبع منهج السابقين في أن كل ظاهرة ينبغي أن تكون لها حكمة ترمي إليها، فراح يدعو بصراحة إلى الاجتهاد في التعليل والبحث عن

---

(٣) المصدر السابق،١/٧٧

(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها

(٥) يقصد أبا عبد الله محمد بن العسّاف العقيلي

(٦) الخصائص،١/٢٤٣

(١) العلة النحوية بين النظرية و التطبيق، للدكتورة نهاد يوسف فليح، مجلة آداب المستنصرية ، بغداد ١٤٠٦هـ-- ١٩٨٦م، العدد ١٤ ، ص ١٧١

وجوه الحكمة عند استقراء الظاهرة اللغوية، حيث يقول: " فكل من فرق له عن علة صحيحة، وطريق نهجة كان خليل نفسه، وأبا عمرو فكره"(١).

ولا شك أن الاجتهاد المتزايد في البحث عن العلل قد أدي إلى نشأة ما يسمي بالعلل الجدلية النظرية، التي يقول فيها الزجاجي: " وأما العلل الجدلية النظرية فكل ما يعتل به في باب (إن) بعد هذا، مثل أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أبالماضية أم المستقبلية أم الحادثة في الحال؟ أم المتراخية أم المنقضية بلا مهملة؟ وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتم بها إلى ما قُدّم مفعوله على فاعله، نحو: ضرب زيداً عمرو؟ وهلَّا شبهتموها بما قُدّم فاعله على مفعوله لأنه هو الأصل وذاك فرع ثانٍ؟ فأي علة دعتك إلى إلحاقها بالفروع دون الأصول؟ وأي قياس اطّرد لكم في ذلك...، وكل شيء اعتل به المسئول جواباً عن هذه المسائل فهو داخل في الجدل والنظر"(٢).

إحكام القواعد وتوثيق أصول صناعة الإعراب:

بعد أن استقرت القواعد النحوية شرع النحاة ينقبون في متون اللغة لتوضيح قواعدها وتثبيتها في الأذهان،وتوثيقأصول صناعة الإعراب، وفي تلك الأثناء وجدوا أن هناك بعض الظواهر لا تسير وفقاً للنظام المطرد الذي قد استقر في وجدانهم، وبالتالي يؤدي ذلك إلى الاضطراب والخلل بالقاعدة النحوية الموضوعة، ومن ثمَّفقد ذهبوا يدافعون عن قواعدهم فحصنوها بسياج منيع من التعليل لإحكام الأصل وتقريره في أي ظاهرة من الظواهر، ولتفسير الشاذ عن ذلك النظام المطرد، وذلك لدفع الخلل والاضطراب بالقاعدة.

ويري كثير من النحاة القدماء أن الشاذ عن القاعدة لا يُخرج الأصل عن بابه، وهذا واضح في تعليلاتهم، حيث يقول الزجاجي:" أن الشيء قد يكون له أصل مجتمع عليه، ثم يخرج منه بعضه لعلة تدخل عليه، فلا يكون ذلك ناقضاً للباب، بل يخرج منه ما خرج بعلته، ويبقي الثاني علي حاله"(٣).

---

(٢)الخصائص،١/١٩١

(٣) الإيضاح في علل النحو، ص٦٤-٦٥

(١)المصدر السابق، ص ٥١

ويقول الزجاجي في موضع آخر:" وقد ذكرنا أن الشيء يكون له أصل يلزمه،ونحوٌ يطرد فيه، ثم يعترض لبعضه علة تخرجه عن جمهور بابه، فلا يكون ذلك ناقضاً للباب ...، وذلك موجود في سائر العلوم،حتى في علم الديانات، كما يقال بالإطلاق:" الصلاة واجبة على البالغين من الرجال والنساء " ثم نجد منهم من تلحقه علةتُسقط عنه فرضها، وكما يقال: " من سرق من حرز قُطع " وقد نجد أن القطع ساقطاً عن بعضهم، ولهذا نظائر كثيرة "(١).

ويذهب أبو بكر بن السراج إلي ذلك، حيث يقول: " واعلم:أنه ربما شذَّ الشيء عن بابه فينبغي أن تعلم:أن القياس إذا أطرد في جميع الباب لم يُعنَ بالحرف الذييشذ منه، فلا يُطرد في نظائره وهذا يستعمل من العلوم، ولواعترض بالشاذ علي القياس المطرد لبطل أكثر الصناعات والعلوم، فمتي وجدت حرفاً مخالفاًلا شك في خلافه لهذه الأصول فاعلم:أنه شاذ،فإن كان سُمِع ممن ترضي عربيته فلابد من أن يكون حاول به مذهباًونحا نحواً من الوجوه أو استهواه أمرٌ غلطه "(٢).

وقد بالغ بعض النحاة في الدفاع عن قواعدهم حيث كانوا لا يضعون حكماًحتى يجدوا له مسوغاًعقلياً، ولا يسوغون قاعدة حتى يجعلوها ترتكز على دعائم مبنية علي العقل والمنطق، وفي حالة الشذوذ عن القاعدة حكموا علي العرب بالغلط، وردّوا من كلامهم ما لا يتمشى مع قواعدهم وتعليلاتهم، وبذلك أصبحت العلة هي المعوّل عليه في إحكام القاعدة، فكل ما خضع لسلطانها كان مقبولاً، وكل ما خالفها طرد من حظيرة القبول أو تسلّط عليه سيف التأويلأو دخل في نطاق الشذوذ أوالضرورة.

تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي:

تعد قضية تأثر النحو بالمنطق الأرسطي من أهم القضايا التي لاقت جدلاً كبيراً بين النحاة المحدثين، فقد وقفوا إزاءها ما بين مؤيد لهذا التأثير ورافض له، وأري أن النحاة الذين رفضوا هذا التأثير جاء ذلك من منطلق تعصبهم للعربية، ورداً على الشعوبية، فتأثر النحو في موضوعه وأسلوبه بالمنطق حقيقة واقعة ظهر أثرها واضحاً

---

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢–٧٣

(٣)الأصول في النحو، لابن السرّاج، تحقيق: عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ–١٩٨٨ م ،الطبعة الأولي، ١/٥٦–٥٧.

في النحو العربي بجميع مجالاته، وفي جميع مدارسه، وفي جميع المراحل التاريخية التي مر بها، بدرجات متفاوتة.

وقد تباينت آراء النحاة المحدثين في البداية الحقيقية لتأثر النحو بالمنطق، ويمكن حصر هذه الآراء في اتجاهين: -

أحدهما: يري أن ذلك قد حدث مبكراً مع بدايات علم النحو(١).

والآخر: يري أن ذلك قد حدث في مرحلة متأخرة بعد عصر الترجمة، وشيوع الاهتمام بعلوم المنطق والكلام، وأنه قد حدث بشكل تدريجي(٢).

ويظهر أثر المنطق الأرسطي في النحو العربي واضحاً في مجالات عدة أبرزها:

أولاً: المنهج العام:

يبرز التأثير المنطقي في المنهج النحوي بوضوح من خلال المقولات العشر وهي (الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان والإضافة والوضع والمُلك والفاعلية والقابلية)، وقد كان لهذه المقولات أكبر الأثر في تشكيل المنهج الذي حكم التفكير النحوي، حيث ظهر أثرها في طرق تحليل الكلمات والجمل، والتقسيمات الزمنية للأفعال، وفكرة تقدير الحركات، وقضية المحل الإعرابي، ومواقع الكلمات في الجمل، وفكرة العامل(٣).

---

(١) ينظر: بحث (منطق أرسطو والنحو العربي) د-ابراهيم بيومي مدكور، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٤٨-١٩٤٩، العدد السابع، ص ٢٣٨-٢٤٦، وقد نُشر هذا البحث في سلسلة (اقرأ) في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١، العدد ٣٣٧، ص٤١-٥٣.

(٢) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص٦١-١٠٥، وينظر: الأصول، ص٥٢-٥٣، وعلم اللغة في الدراسات العربية والغربية قديماً وحديثاً، ص٤٠٩-٤٤٣، والبحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨، الطبعةالسادسة، ص٣٥٠-٣٥٢، ونظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص ١٧٢، وتقويم الفكر النحوي، ص٩٢-١٤٩.

(١)راجع أمثلة علي أثر كل مقولة في المنهج النحوي في كتاب (مناهج البحث في اللغة) د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٨-٢٣.

وقد برز التأثير المنطقي أيضاً في طرق البحث والاستدلال، كما برز أيضاً من خلال التناول الذهني للغة القائم على التصور العقلي لها.

ثانياً: الأبواب والمسائل والقضايا:

وقد ظهر هذا في: –

الحدود والتعريفات: فقد حاول النحاة أن يقدموا لأبواب النحو بحدود صورية تعتمد على تعريف النوع بالجنس والفصل، أو رسوم تعرفه بالجنس والخاصة على نحو ما يفرض المنطق الصوري من شروط لبناء التعريفات(١).

المصطلحات: لقد استعملت مصطلحات المنطق في عرض المسائل النحوية وتقسيماتها(٢).

طرد الأحكام: وهي خاصية من خصائص الحكم الفلسفي، حيث يتم طرد الحكم اعتماداً على نوع من الاتساق النظري بين بعض الظواهر بصرف النظر عن الوجود الواقعي لهذا الاتساق، كقولهم: الإعراب أصل في الأسماء رغم وجود أسماء مبنية(٣).

طرق النقض والنفي والإثبات.

التقسيمات العقلية التي ظهرت في عرض مسائل النحو(٤).

الأقيسة والعلل والعوامل.

وتعد العلة عنصراً أساسياً في المنهج الأرسطي لأنها ترتبط بالمعرفة عموماً؛ فالشيء يتكون عنده من (صورة) ومن (مبدأ) فإن (الصورة) هي (العلة) الأولي، وذلك لأن (الروح) هي صورة (الجسد) و(العقل) هو جزء الروح، وهو الذي يعقل به الإنسان، ويصل إلى المعرفة؛ وعلى ذلك فإن (المعني) سابق على الشيء(٥)، " فالمعرفة إذن

---

(٢) الأصول، دراسة إبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص٥٢–٥٣

(٣) المرجع السابق، ص ٥٣

(٤) تقويم الفكر النحوي، ص ١٥٢–١٥٣

(٥) الأصول، دراسة إبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص٥٣

(١) النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص٧٧–٧٨

تعتمد على العلة ومعني ذلك أن لكل شيء علته.والعلة تقتضي البرهان في المعرفة العلمية إلا التعريف بجوهره يقضي تقديم معناه أوعلة وجوده "(١).

غير أننا لا ينبغي أن نغفل عن أن هذه (العلة) التي ترتبط (بالمعرفة)إنما تندرج في السياق العام للنظرية الأرسطية،وهي نظرية تبحث في (الصورة) وليس في (المادة)، لأن الانطباعات الحسية لا تدخل في مجال المعرفة، ومن ثمَّ فهي ليست داخلة في المنطق. إن التجربة العقلية، هي أساس المنطق، ولمَّا كانت الكلمات المنطوقة رموزاً للتجربة العقلية، والكلمات رموزاً للنطق، ولمَّا كان الناس جميعاً لا يكتبون كتابة واحدة، فإنهم أيضاً لا ينطقون أصواتاً واحدة، ولكن التجارب العقلية واحدة عندنا جميعاً، ومن ثمَّ فهي مقصد المنطق، والتعليل إنما يدور في مجالها(٢).

" هذا هو أصل (العلة) في الفكر الأرسطي، وقد فصل الحديث عن أنواعها حين جعلها أربع علل: مادية وصورية وفاعلية وغائية، وقال إن العلة المادية هي التي يجاب بها عن: ما الشيء؟ والصورية عن: كيف؟ والفاعلية عن: من فعل الشيء؟ والغائية عن: لِمَ؟"(٣)، " والاستدلال بهذه العلل ينتج برهاناً صادقاًإذااعتمد على مقدمات يقينية مؤدية للعلم،أما إذااعتمدعلى مقدمات ظنية، فإنه يؤدي لما يسمي بالأغاليطأو السفسطة "(٤).

" ولقد استمدأرسطو فكرة التفسير بالعلل الأربع من بحوثه في علم الحياة. فهو ينظر إلى التفسير الغائي علىأنه قوام عمل عالم الحياة،وهو تفسير التركيب المادي علي أساس وظيفته. فالطبيعة –وهي الصانع الكامل (حسب رأيه طبعاً) – لا تفعل شيئاًعبثاً. وهنا يظهر جوهر مبدأ العلة عند أرسطو باعتباره دليلاً واضحاً على الحكمة من وجود الموجودات؛ فلا شيء يحدث عشوائياً في الطبيعة؛ لأن الطبيعة نظام مُحكم

---

(٢)دراسات في آليات التحليل وأصول اللغة والنحو، ص ٥٧–٥٨

(٣) النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص٧٩

(٤)المرجع السابق، الصفحة نفسها

(٥) أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، ص ١١٣

يقوم على العلل الضرورية أو المنطقية، وما على العالم إلا استخراج هذه العلل الموجودة بالفعل "(١).

وقد تردد صدي فكرة العلة عند أرسطو في الفكر النحوي،وخاصة العلة الغائية التي تهدف إلى توضيح السبب الذي يكمن وراء أية ظاهرة، وتجيب عن السؤال (لماذا)،ومن الأمثلةعلىذلك: –

يقول العكبري في التعليل لكون اسم (لا) إذا كان مضافاًأو شبيهاً بالمضاف يُعرب ولا يُبني كالمفرد: " واتفقوا علىأن النكرة المضافة كقولك: (لا غلام رجل عندنا)، وفي المشابه للمضاف كقولك: (لا خيراً من زيد عندنا)معرب،وإنما خالف هذا الاسم النكرة المفردة لثلاثة أوجه:

أحدها: أن المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد،وهما في اللفظ اسمان، فلو بنيت الاسم الأول مع (لا) لكان لعلة التركيب، فتصير ثلاثة أشياء كشيء واحد.

والثاني: أن المضاف إليه، واقع موقع التنوين،وكما أن التنوين لا يكون بعد حركة البناء كذلك المضاف إليه.

والثالث: أن المضاف عامل في المضاف إليه، وقد أُلِف من كل مبنيّإذا أضيف إلى مفرد أعرب "(٢).

يقول ابن يعيش في الاسم المعرب:"وقدم الكلام على المعرب قبل الإعراب وإن كان المعرب مشتقاً من الإعراب والمشتق منه قبل المشتق وذلك من قبل أنه لما كان من المعرب يقوم بنفسه من غير إعراب والإعراب لا يقوم بنفسه صار المُعرب كالمحل له والإعراب كالعرض فيه فكما يلزم تقديم المحل على الحال كذلك يلزم تقديم المُعرب علىالإعراب "(٣).

---

(١) العلة بين المناطقة والنحاة، د–محيي الدين محسب، مقاربات في اللغة والادب، كتاب تذكاري بمناسبة العيد الذهبي لجامعة الملك سعود، جمعية اللهجات والتراث الشعبي بجامعة الملك سعود، الرياض ، ١٤٢٨ هـ– ٢٠٠٧ م، ص ١٦٦.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق ، ١٤١٦هـ –١٩٩٥ م، الطبعة الأولي، ١/٢٣١–٢٣٢.

(١)شرح المفصل، ١/٤٩

" فالمقدمات التي وردت في هذا التعليل من أن: المُعرب مشتق من الإعراب– والمشتق منه قبل المشتق –والمعرب يقوم بنفسه والإعراب لا يقوم بنفسه – هذه كلها مقدمات كاذبة. فالأولي تتعلق بلفظ المُعرب والإعراب ومالها والأسماء المُعربةومظاهر الإعراب !! والثانية يختلف فيها علماء النحو، ولا تؤيدها طبيعة اللغات، والثالثة ترتبت على خطأ في فهم الحركات–بأنها توابع –من ناحية، وتعميم الحُكم على ما يُعرب بالحروف من ناحية أخري.فهذا التعليل يمكن أن يطلق عليه (تعليل السفسطة) ومثله في النحو كثير "(١).

ولم تكتف العلة الغائية بالتغلغل في جميع أبواب النحو بل أمتدت لتشمل:
ما لم يقله العرب، ولم يرد عنهم من ظواهر: كتعليل امتناع الأفعال عن الخفض وامتناع الأسماء من الجزم(٢).
ما لا يتوقف عليه حكم إعرابي: كتعليل اختيار (الباء) دون غيرها من حروف الجر لتأكيد خبر (ليس) بها(٣).
ما ليس موجوداً في الظاهرة النحوية: كتعليل عدم جواز تقديم المرفوع في باب إن وأخواتها(٤).
ما يجوز من أحكام وضعها النحاة أنفسهم: كتعليل عمل الابتداء الرفع(٥).
ما لا يجوز من أحكام وضعوها في مواضع معينة: كتعليل عدم جواز كون الجملة فاعلاً(٦).
وكذلك تعليل قضايا أقرب ما تكون إلى فلسفة النحو كالتعليلات المتعلقة برتبة الاسم والفعل والحرف من حيث أيهما أسبق في المرتبة والتقدم، وكذلك الأفعال الماضي والحال والمستقبل(١).

---

(٢) أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، ص ١١٤.
(٣) الإيضاح في علل النحو، ص ١٠٢–١٠٣
(٤) اللباب في علل البناء والإعراب ،١٧٣/١
(٥) المصدر السابق،٢٠٩/١
(٦) المصدر السابق، ١٣٠/١
(٧) المصدر السابق، ١٥٢/١

ومن الجدير بالذكر أن العلة النحوية في عهد الخليل بن أحمد بعيدة كل البعد عن التأثربالمنطق، " فكل ما يقال عن تأثر النحو في عهد الخليل بمنطق أرسطو تأثراً مباشراً في المنهج والموضوع ....إيغال في الحدس وتمسك بأهداب الفروض "(٢).

ويري الدكتورعلي النجدي ناصفأن سيبويه كان " يستمد تعليلاته للمسائل التي يعرضها،والآراء التي يراها من كل ما يمكن أن تستمد منه التعليلات،إلا حقائق الفلسفة وقضايا العلوم، فهذه وتلك مما لم يكن بلغ أشده بعد، فيكون له في النحو أثر، وفي تفكير النحويين عمل على نحو ما كان له بعد ذلك في شتي الأجيال والعصور "(٣).

ومما سبق يتضح لنا أن العلة النحوية قد نشأت في البداية بعيدة عن مؤثرات منطقية، ثم بعد ذلك أخذت تتطور شيئاً فشيئاً من جرّاء التأثر بالمنطق الأرسطي وعلمي الكلام والأصول، وفي هذا السياق يقول الدكتور عبده راجحي: " إن التعليل يشكل أصلاً أساسياً من أصول البحث النحوي عند الأوائل وبخاصة عند الخليل وسيبويه. ومن بعدهما أخذ هذا المنهج يتطور شيئاً فشيئاً متصلاً بالتعليل الأرسطي من ناحية وبالتعليل الكلامي والفقهي من ناحية أخري حتى صار التعليل غاية من غايات الدرس النحوي، وجعل النحاة يقصدون إلي التأليف في العلل النحوية تأليفاً خاصاً "(٤).

ويغلب على الظن أن العلة النحوية قد تأثرت بالمنطق الأرسطي بعد حركة الترجمة وخاصة في القرن الرابع الهجري، فهو القرن الذي سجّل طغيان الفلسفة والمنطق على الدراسة اللغوية، وفي هذا القرن" احتلت العلة مكانة واضحة في عالم التأليف،

---

(١)الإيضاح في علل النحو، ص ٨٢–٨٦

(٢)الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية ،١٤٠٦ هـ –١٩٨٦ م، ص٧٤.

(٣) سيبويه إمام النحاة، د–علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧ م، الطبعة الثانية، ص ١٦٨–١٦٩

(٤) النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص ٨٣

فكثرت فيها المصنفات، وأُفردت لها الكتب، وتناولها الحديث النظري المجرد "(١)، " وبمرور الزمن تحول التعليل إلى صناعة فكرية رائعة "(٢).

وصفوة القول:إن علماء النحو الأوائل بدأوا في تعاملهم مع اللغة بالطريقة الوصفية ثم ما لبثوا أن غيّروا نهجهم بصورة سريعة إلى المنهج المعياري الذي ساد من بعد ذلك، ويبدو أن المرحلة الوصفية الأولي كانت تتزامن مع مرحلة جمع شوارد اللغة كما كان ينطقها الأعراب الفصحاء، وهي المرحلة التي لم يشتد فيها التأثر بالمنطق الأرسطي، وحينما ازداد التأثر بالمنطق الأرسطي بفعل حركة الترجمة بدأت المباحث النحوية تلتزم منهجاً معيارياً اتسم بالسير على مبادئ أرسطو.

(١) النحو العربي، العلة النحوية، نشأتها وتطورها، ص٩٨

(٢) أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، ص ١١٨

مكتبة البحث

اولاً: المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

كتاب العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٠م .

لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.

الصحاح، للجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ –١٩٩٩م، الطبعة الأولي.

أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: فريد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٩٨م.

كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د.ت.

المصباح المنير، للفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثانية.

القاموس المحيط، للفيروز أبادي، دار الجيل، بيروت، د.ت.

التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، دراسة أبستومولوجية، د. جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة ، الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٤م.

تسهيل الوصول إلي علم الوصول، محمد بن عبد الرحمن عيد المحلاوي، مطبعة مصطفي الباب الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٤١هـ.

تعليل الأحكام، د. محمد مصطفي شلبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

مباحث العلة عند الأصوليين، د. عبد الحكيم السعدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٠م، الطبعة الثانية.

كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الطبعة الأولي.

المواقف، عضد الدين الإيجي، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت .

شرح مطالع الأنظار على متن طوالع الانوار، للأصفهاني، المطبعة الخيرية، ١٣٢٣هـ، الطبعة الأولي.

الحدود في النحو، للرماني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان(الأردن)، ١٩٨٤م، الطبعة الأولي.

الأصول، دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين عند البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٨٠هـ-١٩٦٥م، الطبعة الرابعة.

النحو العربي-العلة النحوية: نشأتها وتطورها، د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت،١٩٧٤م-١٣٩٣هـ، الطبعة الثالثة.

الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، الطبعة الرابعة.

أصول النحو العربي، د. محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

مصطلحات علم أصول النحو، دراسة وكشاف معجمي ، د.ماهر النواجي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.

أصول النحو العربي، د. محمد خان، مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، ٢٠١٢م .

أصول النحو العربي، د. محمد خير الحلواني، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١١م، الطبعة الثانية.

نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان(الأردن)، ٢٠٠٠، الطبعة الأولي.

قواطع الأدلة في الأصول، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ–١٩٩٩م، الطبعة الأولي.

الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د.ت.

الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

شرح المفصل، لابن يعيش، صححه وعلق عليه : حواشي نفيسه، المطبعه المنيرية، القاهرة ، د.ت.

الجنيّ الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م، الطبعة الأولي.

الاقتراح في علم أصول النحو، لجلال الدين السيوطي، قرأه وعلق عليه: د. محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفه الجامعيه، الأسكندرية' ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

دراسات في كتاب سيبوبه، د. خديجة الحديثي، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت، الطبعة الأولي.

دراسات في آليات التحليل وأصول اللغة والنحو، د. السعيد شنوقة، عالم الكتب، القاهرة ،١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، الطبعة الأولي.

أصول النحو العربي في ضوء مذهب ابن مضاء القرطبي، د. بكري عبد الكريم، دار الكتاب الحديث، الجزائر،١٩٩٩م، الطبعة الأولي.

فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، الطبعة الثالثة.

المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثامنة.

تقويم الفكر النحوي، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ،٢٠٠٥م.

اللغة والنحو، د. حسن عون، مطبعة رويال، الإسكندرية ،١٩٥٢م، الطبعة الأولي.

العربية وعلم اللغة البنيوي، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦م.

النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

إعراب القراءات السبع وعللها،لأبن خالويه، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، الطبعة الأولي.

الحُجّة للقّراء السبعة، لأبي علي الفارسي، وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفي الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م، الطبعة الأولي.

كتاب السبعة في القراءات، لأبن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت، الطبعة الثالثة.

علم اللغة في الدراسات العربية والغربية قديما حديثا، د. عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، الطبعة الأولي.

تجديد النحو العربي، د. عفيف دمشقية، معهد الإنماء العربي، فرع لبنان، بيروت، ١٩٨١م.

ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان ياقوت، دارة المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ٢٠٠٣م.

أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأى ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلى، ومحمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.

أصول التفكير النحوي، د. على أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، الطبعة الأولى.

تحت راية القرآن، المعركة بين القديم والجديد، لمصطفى صادق الرافعي، راجعة: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.

وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي، ضبطه: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة ، ١٣٦٠هـ –١٩٤١م، الطبعة الأولى .

الإيضاح في علل النحو، للزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت ١٩٧٣م – ١٣٩٣ هـ، الطبعة الثانية.

الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

الأصول في النحو لأبن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. الطبعة الأولي.

البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨، الطبعة السادسة.

مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.

اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق ، ١٤١٦هـ –١٩٩٥م، الطبعة الأولي.

الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية ،١٤٠٦ هـ –١٩٨٦ م.

سيبويه إمام النحاة، د–علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧ م، الطبعة الثانية.

ثانياً الرسائل الجامعية:

١. ابن الأنباري وجهوده في النحو، جميل ابراهيم علوش، (رسالة دكتوراه)، جامعة القديس يوسف، بيروت ،١٩٧٧م

٢. شواهد الشعر في النحو العربي من كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحوين البصريين والكوفيين، شكفته نسرين بنت قاضي قمر الدين، (دكتوراه الجامعة الإسلامية العالمية)، أسلام أباد ،١٤٢١هـ – ٢٠٠٨م

ثالثاً: المجلات والدوريات

١. تأثير الدرس اللغوي الحديث في النحو العربي، د. محمد عيد، بحث منشور بالكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، سنة ١٩٩٣، الطبعة الرابعة.

٢. كتاب علل النحو لابن الوراق، د. عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، العدد ١٢٠

٣. العلة بين المناطقة والنحاة، د–محيي الدين محسب، مقاربات في اللغة والادب، كتاب تذكاري بمناسبة العيد الذهبي لجامعة الملك سعود، جمعية اللهجات والتراث الشعبي بجامعة الملك سعود، الرياض ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٤. العلة النحوية بين النظرية و التطبيق، للدكتورة نهاد يوسف فليح، مجلة آداب المستنصرية ، بغداد ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

٥. اللغة العربية والحداثة، د. تمام حسان، مجلة فصول، القاهرة ، ١٩٨٤م، المجلد الرابع، العدد الثالث

٦. المكونات التركيبية والدلالية لظاهرة التعليل في العربية، د. طه محمد الجندي، مجلة كلية دار العلوم، العدد ٢٧

٧. منطق أرسطو والنحو العربي، د. ابراهيم بيومي مدكور، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٤٨–١٩٤٩م، العدد السابع، وقد نُشر هذا البحث في سلسلة (اقرأ) في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١، العدد ٣٣٧